محمد التابعى

(١٨٩٦ - ١٩٧٧)

أمير الصحافة المصرية

بدأ محمد التابعى حياته الصحفية بالكتابة بالإنجليزية فى الصحف التى كانت تصدر باللغة الإنجليزية فى مصر وهو لا يزال طالب فى الحقوق والطريف أن الفنان سليمان نجيب هو الذى قام بالوساطة لتعيينه فى مجلس النواب فى قلم الترجمة لكنه كان يهوى الصحافة ويكره أن يكون موظفًا فكان التابعى يكتب نقدًا مسرحيًا فى جريدة الإيجيبشن ميل وأعجب مستر أوفارول رئيس تحرير الإيجيبشن ميل بالتابعى بعد أن قرأ له نقدًا مسرحيًا باللغة الإنجليزية ودهش لأن مصريًا يستطيع أن يكتب بهذا الأسلوب بالإنجليزية فعينه فى الجريدة وقام بترجمة مذكرات اللورد سيسل المستشار المالى للحكومة المصرية آنذاك. أخذ التابعى يكتب عن النقد المسرحى فكتب نقدًا لاذعًا عن مسرحية «غادة الكاميليا» منتقدًا أبطال المسرحية ومعلقًا على أحداثها مما أثار السيدة فاطمة اليوسف التى كانت تقوم بدور غادة الكاميليا وقال عنها إنها هاوية ولا تجيد التمثيل، وقد كان هذا المقال سببًا فى أن يلتقيا ويتم العرف بينهما فيما بعد.

بدأ أمير الصحافة المصرية يكتب فى الأهرام باب فى النقد المسرحى تحت عنوان «حندس» وكان كل المؤلفين والمخرجين والممثلين ومصممى الموسيقى يخشونه لأن كتاباته كانت تهكمية ساخرة وكلماته حادة لها وخز الإبر، واستمر باب «حندس» فترة طويلة حدثت له خلالها كثير من المشاكل بسبب جرأة مقالاته وابتعاده فى تحليله للأعمال الفنية عن المصالح الشخصية والعلاقات النفعية، ولهذا السبب استقطبه الكاتب المسرحى محمد عبدالمجيد حلمى الذى أصدر مجلة المسرح التى تهتم بكل شئونه ليكتب بها مقالاً مسرحيًا الهدف منه إصلاح حال المسرح والنهوض به.

وفى عام ١٩٢٥ أصدرت السيدة روز اليوسف مجلتها برأس مال ٥ جنيهات واختارت ليعاونها فى تجريدها عدد من الكُتَّاب مثل العقاد وإبراهيم عبدالقادر المازنى واختارت التابعى ليكتب صفحة عن المسرح وبالفعل تحقق لها ما أرادت وأخذت المجلة تنمو وعندما هبط توزيع المجلة أسندت رئاسة تحريرها إلى التابعى فاستغنى عن كل الأدباء والشعراء وخفض ثمن الجريدة وحولها إلى مجلة فنية خفيفة الظل فارتفع توزيعها واستمر التابعى مع السيدة روز اليوسف يحققا نجاحًا كبيرًا حتى انفصلا.

ومن إنجازات التابعى التى قدمها للصحافة المصرية مجلة آخر ساعة حيث الأبواب المبتكرة والتعبيرات الجديدة التى تتسم بخفة الظل والتنوع والأسلوب الرشيق والكاريكاتير السياسى والاجتماعى الذى يشاغب الحكومة ونقده للأوضاع المقلوبة والخبر الذى يتميز بالسخرية والإثارة والسبق الصحفى، فقد جذبت القراء وكانت بداية مرحلة جديدة فى الصحافة المصرية أرسى قواعدها التابعى والعدد الأول لآخر ساعة كان فى ١٤ يوليو ١٩٣٤ وكانت

الافتتاحية عن عيد الحرية فى فرنسا وكان التعليق عن الذى يجرى فى مصر فى يوم عن الحرية وكيف حرم علينا الكلام والمشى فى الطريق، وكانت الافتتاحية بقلم الدكتور سعيد عبده وكان مقال التابعى عن الموقف السياسى تحت عنوان الخلاف بين ماكودونالد رئيس الوزارة البريطانية وجون سيمون وزير الخارجية وعن وزيرنا المفوض فى لندن وكان بالعدد الأول صفحة بعنوان كذب × كذب يكتبها مصطفى أمين وأمينة السعيد ثم من بعدها جلال الدين الحمامصى وباب أخبار الطلبة وكان يحررها د. قاسم فرحات وكان بعنوان «كده وكده».

وكان بالعدد الأول الكاريكاتير السياسى للرسام صاروخان وكان بالمجلة أبواب أخرى وعدد صفحاتها ٥٠ صفحة.

لقد كان أمير الصحافة المصرية عنيفاً جريئًا لا يقبل تدخل الرقيب فى شئون عمله إلا فى أضيق الحدود، وفى هذا يروى لنا الكاتب الكبير إبراهيم الوردانى أنه كان ناشئًا جديدًا فى آخر ساعة أشهر وأقوى مجلة سياسية فى ذلك الزمان حيث كان يشتغل فيها خمسة أو ستة محررين أو مندوبين ومعهم الرسام صاروخان ثم أربعة أو ثلاثة موظفين هم الخواجة روبير الذى يصرف المهايا ومطلوبات الطبع والورق والخواجة خورى الذى يأتى بالإعلانات وعبدالرحمن الذى يمسك التليفون وعم عابدين الساعى والفراش والبواب.

ويذكر الكاتب إبراهيم الوردانى أنه سرعان ما نال الحظوة عند التابعى المهيب الرهيب فقربه إليه، وفى يوم من الأيام كانت آخر ساعة فى لهاث يوم الطبع وأنا بالمجلة وحدى مع الرقيب فوجئت بالرقيب يحذف بقلمه الأحمر الغليظ كل الصفحات الثالثة والرابعة والخامسة ففزعت واضطررت لإيقاظ التابعى من النوم وعندما عرف بالأمر ثار وصخب وشتم الرقباء والوزراء وطلب منى أن أذهب بالمحذوف فورًا إلى وزارة الداخلية وأكلمه من مكتب الوزير فقلت له أنا لم أقابل وزراء فى حياتى وأنت تعرف طبع حيائى ومرهف شعورى فقاطعنى قائلاً انتظرنى عند الباب فسوف أحضر بنفسى، ثم حضر وركبت بجواره ومعى البروفة فى الرولزرويس الفاخرة وطربوشه المائل على الحاجب يهتز من شدة ما هو منفعل ودخلت بنا السيارة من بوابة وزارة الداخلية والعساكر تعظيم سلام والتابعى بأرستقراطيته النفاذة يفتحم الأدوار والردهات والناس ينحنون ويفسحون.. ثم تندفع خطوات حذائه نحو غرفة مكتب مزدحمة بأطقم من أفخر الناس والرياش وشاب فاتح الأناقة هو مدير مكتب الوزير يقفز مهرولاً منحنيًا للتابعى وقبل أن يحاول الشاب أن يدخل وهو يفتح الباب مواربًا على غرفة الوزير سبقته خطوات التابعى العصبية وهو يجرنى من ذراعى وبركلة من حذائه دفع الباب ليفتح على مصراعيه.. يا له من منظر لا أنساه فلم أر باشا من ذى قبل فما بالكم إذا كان هذا الباشا هو ذائع الصيت المرعب «فؤاد باشا سراج الدين» وزير الداخلية والحاكم العسكرى

والآمر الناهى فى كل مصر؟!.. المنظر، الباشا سراج الدين كالوهج منجعص خلف مكتب مطعّم بالقطيفة الخضراء والبللور الضاوى له بريق الذهب ورائحة البنكنوت الطازج وفى فمه سيجار له حجم الطائر وفى إصبعه خاتم له شكل الفانوس وأمامه يجلس كرشان فخمان الباشا عثمان محرم والباشا عبدالمجيد صالح.. هب الثلاثة الفخام فى استقبال التابعى لكنه توقف فى منتصف الحجرة متجاهلاً الأذرع الممدودة وانطلق مزمجرًا معنفًا بكلام خلاصته رفت الرقيب الوقح وأن يسمع الاعتذار الفورى من وزير الداخلية يا له من مشهد انزرع فى العين حتى الآن والباشوات الفحول يهدءون الصحفى المنفعل الغضوب.. يدللون ويسترضون. اهدأ يا محمد.. روق يا تابعى نرفت لك الرقابة كلها وبل وتعتذر لك أجهزة الحكم عليها.

ويروى الأستاذ الوردانى أنه كان مذهولاً وريفيته المفرطة لا تصدق أن يكون للقلم الصحفى مثل هذا السلطان فقد كان التابعى لا يقبل التدخل فى عمله وهكذا كان جريئًا لا يخشى فى الحق لومة لائم.

- يرى المحللون أن أهم ما يميز مدرسة التابعى الصحفية أنها تخطت الأسلوب التقليدى المتبع فى الصحافة المصرية فكان من الطبيعى أن يصبح المقال السياسى فى المرتبة التالية ويحل محله الخبر السياسى، كما أن وسيلة التعبير عن الرأى لم تعد فى نظر هذه المدرسة مقصورة على المقال ولكنها ابتكرت وسيلة أخرى أطلق عليها الخبر المقالى أو المقال الخبرى. أيضًا سمة أخرى من سمات مدرسة التابعى وهى محاولة الكاتب الاقتراب إلى أسلوب رجل الشارع العادى دون ابتذال وكان التابعى يملك من وسائل الاقتراب إلى القارئ العادى الكثير منها التركيبات اللفظية التى كانت أقرب إلى اللغة الدارجة. ومن سمات تلك المدرسة أيضًا السخرية فى عرض الفكرة وكثيرًا ما كانت كتابات التابعى تتسم بهذه الصفة، كذلك رشاقة الأسلوب والسهولة واليسر فى العرض مع سياق الأدلة والبراهين.

إن أسلوب التابعى ينقلك بقلمه لتعيش الحدث الذى تأثر به أو الرواية التى يسردها فهو سينارست بارع عشق فن الكتابة ولم يكن مهتمًا بالخبر والجرى وراءه فقد كان كاتب مقال من الطراز الأول وناقد مسرحى وسياسى. أما عن حياته الخاصة فقد كان أمير الصحافة المصرية وأمير العشاق محمد التابعى يعيش كما يعيش الملوك والأمراء لا يلبس إلا أغلى الثياب ولا يأكل إلا أفخر المأكولات ولا يقيم إلا فى أجنحة الملوك والأمراء فى الفنادق. وقد كانت له صولات وجولات عاطفية فى عالم النساء فقد عاش أكثر من قصة حب عاشها بكيانه وقلبه سواء فى مصر أو خارج مصر حتى أخذ لقب دون جوان الصحافة المصرية، فقد تزوج من السيدة روز اليوسف وتزوج من زوزو حمدى الحكيم زواجًا سريًا، لكنه لم يدم إلا لفترة قصيرة ثم انفصلا، وقد جاء هذا الزواج عقب انفصاله عن روز اليوسف المرأة والمجلة عام ١٩٣٠.

تزوج التابعى من السيدة هدى التابعى عام ١٩٥٢ حيث تروى السيدة هدى التابعى عن بداية معرفتها به فى يوم ١٨ ديسمبر ١٩٤٩ فى بيته حيث تكلما عن أسمهان ودار الحوار بينهما وكان أول لقاء لها به فأعطته رقم تليفونها الخاص بمنزلها ثم دعاها مرة أخرى إلى منزله وأخذ يروى لها عن قصة حياته وتاريخه الطويل وكذلك مغامراته السياسية والعاطفية ثم بدأت تنشأ بينهما قصة حب كبيرة فبادرها التابعى بأنه يريد الزواج منها إلا أنها كانت تصر على أن يبقيا معًا لفترة لاختبار مشاعر كل منهما تجاه الآخر ومرت الأيام وتزوجا.

وتروى السيدة هدى التابعى أن الفنانة الوحيدة التى حضرت حفل الخطوبة وكانت على علم بكل خطوات زواجنا هى الفنانة أم كلثوم، لقد كانت فعلاً تعرف كل تفاصيل علاقتى بالتابعى منذ التقينا أول مرة وحتى بعد أن تزوجنا فقد كانت حارسة حبى مع التابعى، وتروى السيدة هدى التابعى أن الزواج تم فى صمت وحضر الفرح من أسرتها أخيها وبعض أخوالها وحضر الأستاذ حسين أخو التابعى الوحيد ولم يحضر أى فنان أو فنانة من أصدقاء التابعى، وقد أنجب التابعى من السيدة هدى ابن يدعى محمد وبنت تدعى شريفة واستمرا معًا حتى وفاته بعد صراع مع المرض، وقد ولد التابعى فى ١٨ مايو ١٨٩٦ فى محافظة الحب والجمال ومهبط الشعر والخيال المحافظة التى أعطت لمصر والعالم العربى كوكب الشرق أم كلثوم وشاعر الجندول على محمود طه وشاعر الأطلال إبراهيم ناجى والكثير من عباقرة محافظة الدقهلية كان منهم أمير الصحافة المصرية محمد التابعى الذى توفى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ بعد صراع مع المرض، وكان آخر منصب تولاه التابعى فى شارع الصحافة مدير تحرير أخبار اليوم حتى وفاته.

كتب التابعى روايات وقصص قصيرة كثيرة وأغلبها كانت حوادث واقعية حدثت له شخصيًا وللتابعى عدة قصص تم اختيارها للسينما واحدة بعنوان: (نورا) ومثلتها نيللى وعادل أدهم ونجوى فؤاد وكان الفيلم بنفس الاسم لكن القصة كانت بعنوان «هيرما» وهى قصة حقيقية فى حياته، وهناك قصة أخرى أخذت للسينما وهى «عدو المرأة» التى يخلط الكثير ويعتقد أن مؤلفها هو العقاد بينما هى قصة للتابعى تحولت إلى فيلم سينمائى أيضًا من كتب التابعى أسرار الساسة والسياسة وبعض ما عرفت، أسمهان تروى قصتها، ألوان من القصص، ولماذا قتل، جريمة الموسم، رسائل وأسرار، حكايات من الشرق والغرب، أحببت قاتلة، صالة النجوم».

أقواله وآراؤه

قال التابعى عن الصحافة أنها تاج الأشواك على رأس صاحبة الجلالة لقد خلعوا على الصحافة لقب صاحبة الجلالة لكن صاحبة الجلالة تحمل على رأسها تاجًا من الأشواك وحجارته من المتاعب والاتهام والشكوك!.. الصحفى يكتب وسيف الاتهام مسلطت فوق رأسه

وقليلون منا نحن الصحفيين هم الذين أوتوا الشجاعة لإبداء الرأى ولا يباكون أن يتهموا فى نزاهتهم وأنهم مأجورون ينالون ثمن مقالاتهم من دولة أو من جهة ما.

إذا كتب الصحفى اتهم فى نزاهته وإذا لم يكتب اتهم فى شجاعته كأنه لا يؤدى واجبه ورسالته.

- نحن نستدين لنشبع شهوات الطعام فمن أين تأتى الدعوة للتقشف؟

- أم كلثوم هى نعمة من الله صوتها الجميل القوى المعبر الأخاذ قد تمر أجيال بعد أجيال قبل أن تمن الدنيا بصوت مثله ولو كان للفنون شأن فى تعريف وتأريخ العصور لجاز أن يعرف عصرنا هذا بعصر أم كلثوم.

- محمد عبد الوهاب كانت لديه الشجاعة بأن يعترف بأنه ينقل أو يقتبس لأن الموسيقى تراث إنسانى مشاع ولم يلبث أن حذا حذوه زملاءه فاقتبسوا من الموسيقى الأجنبية، لكن اقتباس بعضهم أشبه ما يكون باقتباس الغراب لمشية العصفور.

- يوسف وهبى هو مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ فن المسرح فى مصر.

- روز اليوسف كنت أجد فيها الصديق الوفى والزميل القوى والشريك فى المحن رأينا الفشل والنجاح معًا وذقنا الإفلاس والأرباح معًا ومررنا فى الهزائم والانتصارات جنبًا إلى جنب وانقطعت شركتنا ولم تنقطع صداقتنا.

- نهرو لم يكن زعيمًا هنديًا أو زعيمًا سياسيًا آسيويًا فحسب، بل كان زعيمًا عالميًا فمن الزعماء من تعلو زعامتهم حتى تتجاوز حدود الإقليم أو الدولة أو القارة التى يعيشون فيها وهم من أبناءها.

- غاندى أول إنسان بكاه الشرق والغرب معًا.

- التابعى/ أحيانًا أصرف حتى السفه وأحيانًا أمسك حتى البخل الشديد وأحيانًا أثور لأتفه الأسباب وأغفر الخطأ الشنيع وكثيرًا ما أجلس إلى مكتبى لأكتب فى فكرة وما أن أمسك القلم حتى أكتب فكرة أخرى.

شهادة معاصرة

موسى صبرى: لا أستطيع أن أزعم أننى عملت مع الأستاذ التابعى.. كنت أراه بين الحين والآخر فى أخبار اليوم فى مكتب مصطفى وعلى أمين وكانت له هيبة ورهبة كان مصطفى أمين يقف بمجرد دخول التابعى وكذلك على أمين وكانا لا يتحدثان معه إلا حاضر يا أستاذ ولا يجلسان إلا إذا جلس وعند انصرافه يودعانه حتى باب المصعد. كان أسلوبه سلسًا وعبارته بسيطة وجميلة وسخريته قاتلة ولاذعة.

كيف نحارب الشيوعية

محمد التابعى

ما من مرة كتبت عن الشيوعية إلا وجاءتنى خطابات كثيرة فيها شكوى وفيها عتاب بل وفيها «اتق الله أيها الرجل وإلا فكيف تدافع عن ظلم النظام القائم الذى أغدق الخير كله على أقلية ويفرض علينا نحن الكثرة الجوع والبؤس والمرض والحرمان»!

والخطابات كلها من سكان الحضر.. من موظفين ومن هم فى طبقة الموظفين من ذوى الدخل البسيط المحدود!

ولكنى لا أذكر أن خطابًا واحدًا جاءنى من الريف!.. لا لأن الريف عامر بالخيرات! ولا لأن أهل الريف لا يشكون جوعًا ولا مرضًا لا حرمانًا.. وإنما لأن الريف أخرس أصم! أخرسه الجوع وقعد به المرض.. ثم لعل الريف لا يجد ثمن طابع البريد!

أكتب عن الشيوعية وأُبصِّر الناس بما فيها من زيف وضلال.. فيقول لى قارئ (ولكن الشيوعية لا يمكن أن تكون أسوأ مما نحن فيه!.. ونحن نرحب بها فهى تغيير على كل حال. ثم نحن لا نصدقك.. لأنك لم تزر روسيا.

وأكتب عن الشيوعية وفشلها فى روسيا وأقول: إن فى موسكو وحدها أكثر من مائة ألف متسول فيكتب إلى موظف ويقول: (... وهل عنيت حضرتكم بإحصاء عدد المتسولين فى القاهرة؟ ولا أقصد محترفى التسول وحدهم فهناك آلاف وآلاف - أنا منهم - أسوأ حالاً من المتسولين المحترفين لأنهم لا يستطيعون أن يقفوا فى جوانب الطريق ويمدوا أيديهم للسؤال.. ذلك لأننى موظف! أفندى محترم! مرتبى سبعة جنيهات فى الشهر بعد خدمة عشرة أعوام. ولى زوجة وسبعة أطفال وأعمل فى اليوم اثنتى عشرة ساعة. ومطلوب منى أن أذهب إلى مقر عملى وأنا ألبس سترة. وفى قدمى حذاء. وعلى رأسى طربوش).. إلى آخره!

ويكتب إلى آخر يقول... (أليس حرامًا وظلمًا أن يعيش رجل مثلى له زوجة وتسعة أطفال عن تسعة جنيهات فى الشهر.. وأنا أحمل دبلوم صنايع وعندى خبرة ربع قرن.. (ثم أى أثر أو أية ثورة تتفجر فى صدرى عند ما أقرأ فى إحدى الصحف الأسبوعية أن ميزانية كلب سعادة فلان باشا تبلغ عشرة جنيهات فى الشهر! قارن يا أستاذ!.. أحد عشر نفسًا تعيش على أقل مما يعيش عليها كلب واحد!).

ثم تطلب عن نعرض عن الشيوعية؟

* * *

وكتب إلى قارئ - ولعله طبيب - كتب يقول أن الحكومة قدرات عدد المرضى بالدرن (السل) بثلثمائة ألف. ولكنى واثق من أن الحكومة قد أخطأت كثيرًا فى التقدير لأن عدد مرضى السل أكثر بكثير ويكفى أن الخبير الأجنبى فى الدرن الذى زار مصر فى الشهر الماضى قال إنه مما يؤسف له عدم وجود إحصائيات دقيقة عن انتشار هذا المرض فى مصر.

ثم... تتفق الحكومة خمسة وعشرين ألف جنيه على معرض الخيول الذى سيقام فى الأرجنتين فى الوقت الذى تبخل فيه بالمال الكافى لمكافحة مرض الدرن! واذهب إلى أى مستوصف للصدر بالقاهرة (وفيها ثلاثة فقط) تجد مئات من المرضى ينتظرون دورهم! مئات من صور البؤس والفاقة.

ولقد بلغ من شدة الزحام وقلة الأطباء أن الطبيب أصبح مرغمًا على التشخيص الارتجالى... والعلاج كيفما اتفق!

* * *

وتضيق هاتان الصفحتان لو مضيت أقتبس من خطابات القراء..

وأنا أعلم أن مكافحة الشيوعية لن تكون بكتابة المقالات ولن تكون بالوعظ والتبصير ولا باستصدار الفتاوى من سادتنا العلماء الأجلاء ولن تكون بالاعتقالات والمحاكمات.

كلا. هذه وسائل لن تجدى ولن تثمر.. وإنما مكافحة الشيوعية هى بالعمل على تضييق الفوارق الكبيرة بين الطبقات. وبالعمل الجدى السريع على تحقيق ألف باء العدالة فلا يكون هناك كلب يطعم ويسقى بعشرة جنيهات!.. بينما هناك أسرة من عشرة أنفس تعيش على أقل من سبعة جنيهات! ولا يكون هناك رجل دخله مائة ألف جنيه فى العام.. وأخ له فى المصرية وفى الوطن لا يقل عنه عملاً وجهدًا فى خدمة هذا الوطن وكل دخله مائة جنيه فقط!.. ولا تكون هناك فى الريف ملايين يعيشون عيش السوائم ويكدحون من مشرق الشمس إلى غروبها.

والداء فيما يطعمون. والداء فيما يشربون. عراة الجسد فى الصيف وفى الشتاء!.. وصاحب الأرض الذى يعيش فى القاهرة أو فى المدينة متخوم بالمال. متخوم بالطعام!

وويل لنا. وويل لمصر وويل لسادتنا النعام التى تخفى رؤوسها فى الرمال إذا استيقظ يومًا هذا الريف! ونهضت هذه الملايين الجائعة العارية تطالب بحقها فى الحياة!

* * *

وهنا قد يسألنى القراء ما هى الوسائل الكفيلة بتحقيق ألف باء العدالة وتضييق الفروق

الواسعة بين الطبقات؟

وهذا بحث طويل. كما أننى لا أزعم لنفسى علمًا أو معرفة تجيز لى أن أتحدث فى هذا المعنى حديث الثقة الخبير؛ ولكننى أقترح - وهى اقتراحات بدائية ساذجة - أن يكون هناك حد أدنى لأجر العامل. وحد أدنى لمرتب الموظف.

وحد أعلى للدخل..

والحد الأدنى للعامل وللموظف يجب أن يكون كافيًا للعيش المستور! ولا أبالغ وأقول العيش الكريم! عيش لا ترف فيه. ولكنه عيش يبعد شبح الجوع عن الباب! ويضمن للعامل وللموظف الطعام والثوب لنفسه ولأولاده - ويجب أن يزاد المرتب إذا تزوج الموظف وأن تكون هناك علاوة بنسبة عدد الأولاد الذين يرزقهم. والدولة مطالبة بتيسير العيش للموظف الذى يتزوج وخصوصًا بعد إلغاء البغاء!

* * *

وأما عن الريف.. فإن فى مصر أربعة آلاف قرية ليست بينها قرية واحدة صالحة لتربية وعيش ذرية طيبة من الحيوانات... فضلاً عن الآدميين!

هذه القرى يجب أن تهدم وأن يبنى بدلاً منها قرى نظيفة صحية مزودة بالماء النقى وبالمجارى.

ولا أعرف كم يتكلف بناء القرية الواحدة. ولكن ليس من الصعب ولا من الكثير أن تخصص الدولة فى كل عام مليونى جنيه لإعادة بناء عدد معين من القرى فى كل عام فلا يمر ربع قرن حتى تكون قد خلقنا مصر خلقًا جديدًا. وخلقنا معها جيلاً جديدًا.

* * *

وبعد فأنا أعلم علم اليقين أن معظم شيوعيى مصر أو الذين يسمون أنفسهم شيوعيين لا يحبون الشيوعية لذاتها - بل لعلهم لم يدرسوها اللهم إلا قلة منهم قد احترفت الشيوعية كمهنة لا كمبدأ - ولكن الضيق والبؤس والحرمان هى التى تدفع بهم إلى أحضان الشيوعية ولسان حالهم يقول لن تكون الشيوعية أسوأ مما نحن فيه! وأنا الغريق فما خوفى من البلل!

قرأت فى صحف الأسبوع الماضى أن قيمة المخدرات التى ضبطت فى خلال عام واحد تزيد على مليون من الجنيهات.

وأذكر حديثًا أفضى به مرة أحد كبار المسئولين لصحيفة ما ولعله اللواء عبدالمنصف محمود باشا وجاء فى حديثه - إذا صدقتنى الذاكرة - أن ما يضبط من المخدرات لا يزيد على عشرة فى المائة مما يتسرب إلى داخل البلاد!

ورجال الحدود وخفر السواحل والجمارك معذورون لأن حدود مصر مترامية الأطراف ومن

الصعب إن لم يكن من المستحيل إحكام الرقابة على بضعة آلاف من الأميال وهى طول حدودنا الساحلية على البحر الأبيض والبحر الأحمر والصحراء الغربية والصحراء الشرقية «سينا».

ولكن معظم هذه المخدرات أو ٩٠٪ منها حشيش!

وهذا الحشيش يجيئنا من القطرين الشقيقين سوريا ولبنان!

والذين يزرعون الحشيش فى سوريا ولبنان أو كبارهم هم.. سادة كبار! ومعروفون! بل معروفون جدًا بما يلقونه من الاحترام والإكرام...

وبينهم من يتولى مناصب خطيرة! أو سبق له أن تولى مناصب خطيرة..!

ومنذ أعوام معدودة ضبط حرس الحدود عند الناقورة سيارة حكومية تحمل طنًا من الحشيش.. كان فى طريقه إلى فلسطين ومنها إلى مصر!

وأثبت التحقيق أن السيارة الحكومية حملت الحشيش من أرض الوزير وبناء على أمر معالى الوزير.

وأسدل الستار طبعًا!

وزراعة الحشيش مصدر ربح كبير!

ولكن أمل مصر كبير فى «أخوة» الشقيقات!.. ولا يجوز عدلاً أن تخص مصر.. ومصر وحدها بحشيش الشقيقات. فلماذا لا يهرب هذا الحشيش. أو بعضه مثلاً إلى العراق؟.. أو إلى «إسرائيل» التى لا تزال «مزعومة» على كل حال!

وبعد.. لا أحب أن أضع اليوم حساب الجامعة العربية فى كفتى الميزان! ولكنى أعتقد أن هذه الجامعة العربية تستطيع أن تحقق حسنة واحدة قد يغتفر لها معها سيئات عديدة!

وهذه الحسنة الواحدة هى اتخاذ التدابير الصارمة للقضاء على زراعة الحشيش..

ومصر التى ضحت بالكثير من أجل هذه الجامعة العربية سوف يسرها كثيرًا أن تجد (الحشيش) فى رأس جدول الأعمال عندما تعقد الجامعة دورتها القادمة بإذن الله! بدلاً من المسائل العديدة التى تحشر فى جدول الأعمال ولا يتحقق منها شىء واحد ولا يصيب العروبة منها سوى وجع الرأس والصداع!

محطة الإذاعة!

قرأت منذ بضعة أيام فى إحدى صحف المساء بحثًا لذيذًا مستفيضًا عن محطة الإذاعة المصرية وقد جاء فيه أن كاتب المقال تحرى فعرف أن أحدًا لا يصغى إلى أحاديث محطة الإذاعة..

وهذا صحيح. والسبب أن الأحاديث بايخة. جافة. ومملة ويدرك السامع فى الحال أنها أحاديث معدة وأن الأسئلة والرد عليها تقرأ من ورق مكتوب!

والإذاعة الناجحة هى التى يتحدث فيها صاحب الحديث.. من القلب للقلب. ويرتجل - ولا بأس بأن يفكر قليلا أو يتلعثم قليلاً - فهذا كله خير وأحسن وقعًا فى النفوس من تلاوة حديث معد مكتوب.

لماذا لا يتحدث إلينا مثلاً أحد كبار رجال البوليس عن كيف يكافحون الإرهاب والشيوعية؟ وليس من الضرورى أن يكشف عن أسرار أو عن حديثًا كهذا خليق بأن يحشد كل القوى الصالحة فى البلد لمؤازرة رجال البوليس فى كفاحهم ضد الشيوعية والإرهاب؟

ولماذا لا يتحدث إلينا أحد كبار علماء الأزهر عن حكم الذين مثلاً فى غطاء الرأس؟ وهل الطربوش وحده هو غطاء الرأس الذى يقره الدين. أما لبس القبعة فكفر مبين؟

أعتقد أن حديثًا كهذا سوف يلقى اهتمامًا كبيرًا من السامعين، وفى البلد الآن حركة تذمر واسعة من الطربوش. هذا إذا جاز لى أن أحكم من عدد الخطابات التى تصل إلىَّ من القراء.

ولماذا لا يذيع علينا عبد الوهاب مثلاً أو زكريا أحمد أو السنباطى حديثًا عن (كيف ألحن؟ وأنسب النغمات والطبقات لأصوات المطربات والمطربين فلانة وفلانة وفلان)!

ولماذا لا يجلس مثلاً وزير المالية أمام المذياع ليسأله موظف صغير عما تضيق به اليوم صدور الموظفين من أسباب الشكوى وكذا وكذا وكيت!

ألا يكون هذا الحديث خيرًا وأجدى من عشرات المقالات وعشرات البيانات التى تلقى فى البرلمان؟!

ولماذا لا تذيع علينا سيدة - وليس من الضرورى أن يعلن اسمها - حديثًا عما تلقاه السيدات فى الشوارع من ألوان المعاكسات والمضايقات..

ولماذا.. ولماذا.. ولماذا! أستطيع أن أذكر غفو الخاطر عشرين اقتراحًا بعشرين حديثًا. وكلها خير من هذه الأحاديث المملة البايخة التى يوحى بها خيال محدود أو رأس مكدود.

مرة اخرى... التليفون!

فى مساء الاثنين ٢١ مارس وما بين الساعة العاشرة والعاشرة والنصف دق جرس التليفون فى مسكنى دقة «الترنك».

وقال موظف السنترال:

- ٥٢٧٧٠؟

قال: إسكندرية طالباك!

ومن الذى يطلبنى من الإسكندرية فى مثل هذه الساعة؟ ولكن لما كنت فقدت قريبة لى فى ذلك اليوم فقد ظننت أن صديقًا لى بالإسكندرية سمع بالخبر ويريد أن يعزينى..

وقلت: آلو..

وسمعت صوت سيدة تقول:

(آلو . مين؟

قلت: أنا محمد التابعى..

وشهقت السيدة الفاضلة وبدأ الفزع فى صوتها وكأنما قلت لها أننى العشماوى أو آبو رجل مسلوخة وصاحت:

- محمد التابعى!.. يا ندامة.

ولابد أن حضرة موظف السنترال كان ينصت للحديث لأنه قال على الفور:

- لا مؤاخذة ياافندم.. النمرة غلط..

ووضعت سماعة التليفون..

ولكن الجرس يدق من جديد.

وقلت: آلو...

- الوزارة فى إسكندرية طالباك!

وليست هناك وزارة الآن فى الإسكندرية. ولكننى انتظرت مع ذلك.

وعاد الموظف بعد نحو دقيقة يقول:

- اللى كان طالبك لغى الطلب!!

سألته: حضرتك مش قلت الوزارة؟

قال: نعم.. بولكلى!

وبعد ذلك بثلاثة أيام كلمنى صديق من الإسكندرية وقال إنه حاول أن يتصل بى من مكتب بولكلى فى مساء الاثنين فأعطوه أولا رقم تليفون (٥٦٩٩٩).. أى نمرة غلط ثم عادوا وأبلغوه أننى - أى تليفون ٥٢٧٧٠ - مايردش!

ما رأى الأستاذ فكرى أباظة بك؟